دور الصين البنَاء لعالمٍ أكثرَ عدالة:
اليمنُ الذي يُعرَف بالأزمات وتغيبُ عنه الحوكمة

ورقة في دورة «بناء الأحزاب والحكم العالمي» إبراهيم الظهره – بكين 13 نوفمبر 2026

السيداتُ والسادة، مساء الخير، وطابَت أوقاتكم جميعاً.

شكراً من الأعماق للأكاديمية المركزية لتاريخ الحزب الشيوعي الصيني والوثائق على دعوتي لإلقاء كلمة في هذه الدورة، والامتنانَ نفسَه إلى مركز التبادل الإعلامي الصيني الدولي الذي أتاح لي فرصة الحديث إليكم.

أعزائي الحضور

يدعونا عنوان هذه الدورة، «بناء الأحزاب والحكم العالمي»، إلى سؤال لا مفرّ منه، بعد سنوات طويلة من الحديث عن الحوكمة العالمية:

ما لها وما عليها؟ ماذا قدّمت لدول الجنوب، وماذا أخذت منها؟

من هنا تنطلق **ورقتي «دور الصين البنَاء لعالم أكثر عدالة»**، أتناولها؛ من زاوية ذاتية وموضوعية معاً: من اليمن، الذي يُعرَف بالأزمات وتغيب عنه الحوكمة.

اليمن، التاريخ والحضارة والثقافة والتجارة وباب المندب، لا يجد اليوم مقعداً له في قاعة الحوكمة.

سأتحدث في محورين: غياب الحوكمة:

1- (العالم والاهتمام باليمن مثالًا).

2- ثم تجربةٌ مختلفة تقدّم نموذجاً آخر، هي الصين ورؤيتها.

السيداتُ والسادة، دعونا نفكّر معًا:

ما الذي يعيشه اليمن؟ ما الذي يريده اليمنيون؟ كيف تُعرَض ملفاته على طاولة المؤسسات والدول، القريبة منها والبعيدة، الصغيرة والكبيرة؟

إن ما تعيشه الأمم المستقرة هو ما يستحقه الإنسان اليمني أيضاً، وكذلك إنسان دول الجنوب عموماً.

لكن، وبصراحة شديدة: يبدو أنّ عالم الأقوياء مهتمٌّ بمراكمة قوته، نعم؛ العالم المتقدّم مهتمٌّ إلى حدٍّ كبير بمضاعفة تقدّمه بمفرده، خلافاً للشعارات التي يرسلها إلى الدول النامية والأقل نمواً. ووراء ذلك لهاثٌ خلف بريق التقدّم المذهل؛ والقوة المفرطة، والثروات السهلة حتى ولو على حساب بلدان تلك الثروات، ونسيانُ تبعات كل ذلك.

ليس عيباً أن تكون القوة والتقدّم هدفاً للجميع، لكن العيب أن يكون ذلك للبعض على حساب الآخرين. فاليمن جزء من هذا العالم، لكنه ظلّ في الصف الأخير.. وأهل دول الجنوب بشر أيضًا .. يستحقون التقدم والقوة ذاتَهما.

أيها الحضور الكرام

أقولها بوضوح: اليمن ليس بلد أزمات في أصله. إنه بلد الحكام التبابعة، بلد سدّ مأرب، ودولة سبأ التي حكمتها الملكة بلقيس، التي عُرفت بالحكمة والشورى وحسن القيادة، ولطالما سمي اليمن بـ "اليمن السعيد". ونحفظ في الوقت نفسه قول نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام «الحكمة يمانية».

فمن أين جاءت الأزمات؟ جاءت حين اجتمع ضعفٌ داخلي وتنافسٌ خارجي على موقعه ومعابره، فتعمّق الانقسام، وصُدِّرت إليه الصراعات.

وهكذا نجد أن **العتب ليس على الأزمات، فكل البلدان تمرّ بها، بل على التغييب المتعمد:** يا للمفارقة اليمن الكبير يظل إلى اليوم بلدًا بعيدًا عن مسارات الحوكمة ..لا يُلتفت إليه إلا حين تقع أزمة، ثم يُترك وحيداً حين تنطفئ الكاميرات.

أعزائي الحضور

في المستوى الوطني، ما الذي يعنيه غياب الحوكمة؟ يعني غيابها: أن يحتاج أكثر من اثنين وعشرين مليون إنسان إلى مساعدة إنسانية، وهم أكثر من نصف السكان؛ وأن يبقى ملايين الأطفال خارج المدرسة؛ وأن يعاني أكثر من مليوني طفل دون سن الخامسة سوء تغذية حاداً؛ وأن تنقسم السلطات؛ وأن تخطف الحرب أرواح الأطفال والنساء.

لا وقت هنا لدموعنا؛ المطلوب فعلٌ سياسي دولي، عملي وأخلاقي، يقوم بواجبه في حل النزاعات وفق قواعد الحوكمة. فكثيرٌ من دول الجنوب يعيش الصراع والحروب، وكثيرون في الدول المتقدمة يكتفون بالمشاهدة على المنصات.

ما يحجب الحوكمة عن دول الجنوب عاملان لا عامل واحد، الأول: ضعفٌ داخلي، والثاني :تدخلاتٌ خارجية تسعى إلى النفوذ والثروات. **واليمن، عند باب المندب، تتقاطع فوق أرضه مصالح العالم، بينما أهلُه بلا استقرار.**

غير أن في العالم تجربة تستحق التأمل: تجربة الصين. فتجربتها على مدى أكثر من سبعين عاماً ملهمة، وترتبط اليمن بعلاقات مع الصين منذ عام 1956، وهنا يمكن أن نلتقي دوماً.

الشعب اليمني، وأنا واحد منه، يمتنّ للصين على أفعالها الإيجابية ومساعدتها القائمة على الشراكة والإخاء والمسؤولية. ونحن بحاجة إلى تقدّم هذه العلاقات اليوم أكثر من أي وقت مضى، لنصنع حوكمتنا الذاتية باستلهام التجارب وتراكم الخبرات.

أيها الحضور الكرام

تقدّم الصين كما نشاهد ونعيش رسالة بسيطة: بالحوكمة الجيدة يمكن أن يصبح العالم أفضل.

تعمل الصين بجد من أجل الإنسان في الداخل، وتسعى بصدق من أجل الإنسانية في العالم.

ومن على منابر المنظمات الدولية، دعت إلى حوكمة عالمية أكثر عدلاً، تعيد النظر في واقعها، وتطوّر مقاربات العدالة والمساواة.

حوكمة تقوم على التشارك واحترام سيادة كل الدول، الصغيرة قبل الكبيرة.

وهي رؤية أكّدها الرئيس شي جين بينغ مراراً: تمثيلٌ أوسع وأنسب لدول الجنوب، وفرصةٌ حقيقية للحضور للدول الأقل قوة، تمتلك بها أسباب قوتها باستثمار مواردها الذاتية وإرثها الحضاري.

لم تكتفِ الصين بالدعوة، بل اتجهت عملياً إلى مشاركة العالم تجربتها وخبراتها، وتقاسُم ثمار التنمية مع الجميع، عبر مبادرتي الحوكمة العالمية والتنمية العالمية.

وهذه هي الحوكمة التي تحتاجها بلادٌ كثيرة ظلّت بلا مقعد.

السيداتُ والسادة

لقد قُدِّر لي، بصفتي صُحفياً، أن أنتقل من متابعٍ؛ إلى شاهدٍ على التجربة الصينية.

رأيتُ الفرق الذي أحدثته الحوكمة الصينية، رأيتُ البنية التحتية، ولمستُ قصة إخراج نحو ثمانمئة مليون إنسان من دائرة الفقر منذ الإصلاح والانفتاح، نعم: رأيتُها في الأحياء والمدن.

في قرية لي تسو، في أحد أزقّتها الضيقة، صعدنا عتبةً من عدة درجات ودخلنا دكاناً بسيطاً. استقبلتنا صاحبته، وقدّمت لنا الضيافة، ثم قالت بفرح: «الحياة الآن أفضل».

نعم.. رأيتُ كيف يساعد النظام على الاستقرار، وكيف يصنع الاستقرار التنمية الشاملة.

لقد نهض التنين بعد مرارات الماضي: زرع وصنع وتاجر، وبنى علاقات متميزة مع دول العالم، حتى صارت الصين اليوم ثاني أكبر اقتصاد في العالم، ورائدةً في مجالات عدة، منها الذكاء الاصطناعي.

بدأ ذلك **بنموذجٍ خاص، ارتبط بالإرث الحضاري، واستفاد من إنجازات الحاضر، اندمج في المنظومات الدولية، وتبادل المنافع مع الجميع.**

وإن أبرز ما يميّز النموذج الصيني هو المراجعة المستمرة والتطوير الدائم. وفي هذا السياق، اختتمت اللجنة المركزية العشرون للحزب قبل أسبوعين الجلسة الكاملة الخامسة في بكين، بقرارٍ عنوانه: المثابرة على الحوكمة الذاتية الكاملة والصارمة. وقد نقلت وكالة شينخوا عن الرئيس شي قوله: إنه لا حزبَ في العالم يأخذ بناءه الذاتي بالجدية التي يأخذ بها الحزب الشيوعي الصيني.

أعزائي الحضور

نعم، لكل بلد ظروفه. لكن الجيد في التجربة الصينية أنها تركّز على الذات كثيراً، وتنفتح على الآخر بموضوعية وتشاركية في العمل والمنافع. وهنا نقطة التقاء مهمة، وإلهامٌ يتجاوز التنظيرَ إلى العمل، والفرديةَ إلى التشاركيةِ العالميةِ العادلة.

أعزائي السيدات والسادة

أعود إلى اليمن: من حيث بدأنا.

هو البلد الذي أشهرته الحروب؛ أكثر مما أشهره علماؤه ومؤرخوه ومفكروه ومبدعوه ومخترعوه، على كثرتهم في التاريخ وفي الحاضر. وأنتم تتابعون نجاحاتهم في كل المجالات كلما توفرت لهم الفرصة. ومثله دول الجنوب العالمي، الغنيةُ بالثروات، وفي مقدمتها الإنسان.

في قرار اللجنة المركزية الأخير الذي أشرتُ إليه، تقول الصين ببساطة: لا امتيازات لأحد أمام المؤسسات، ولا استثناءات في تطبيقها. وهذا درسٌ للعالم، ولنا في اليمن: الدول لا تقوم بكثرة القوانين، بل بتطبيقها على الجميع.

في الاتجاه الآخر العالمي والإنساني معًا: حان وقت اختبار الشعارات، فالعالم اليوم مدعوٌّ إلى النظر في حوكمته من زاوية الدول النامية والأقل نمواً.

لنقل: الحوكمة من زاوية اليمن، قرب مضيق باب المندب على سبيل المثال.

دمتم، ودام عالمنا بخير.